دور الأهل في تنشئة الأجيال من منظار علوم «الإيزوتيريك»

التربية مفهوم تتفاوت منهجية تطبيقه من بلد الى آخر، وفي المجتمعات وبين الأسر. فكثيراً ما نجد عائلات تتساهل في تربية أبنائها، بمعنى أن عاطفتهم الجياشة تمنعهم من اتخاذ مواقف حازمة، جازمة وحاسمة عند الضرورة، خاصة بهدف تقويم تصرفات الأبناء. فيما نجد أسر أخرى تتصرف بقسوة تامة مع البنين مغيبة حس العاطفة الرقراقة، وأسلوب الحوار المتبادل والسليم. ففي كلتا الحالتين، نجد أن التوازن بين العاطفة والفكر غائب. ففقدان هذا التوازن هو ما جعل من التربية إما صارمة جداً، أو متساهلة جداً.

إن عمق التناقض الذي لاحظته في أسلوب التربية في عائلات الأقرباء والأصدقاء جعلني أتساءل عن سبب هذا التفاوت الغريب. ففي بعض العائلات، نرى أن الوالدة هي المسؤولة عن تربية الأبناء، فيما الوالد مغيب كلياً عن دوره، متذرعاً بأنه مسؤول عن تأمين حاجاتهم المادية. وفي عائلات أخرى، تجد أن الوالدين يناقضان بعضهما في اتخاذ القرارات في ما يتعلق بأبنائهم، والأنكى تجدهم ينهمكون في إلقاء اللوم على بعضهما البعض، عندما يخطئ أحد الأبناء في التصرف. فيصبح الأبناء حينها «كبش محرقة» و«فشة خلق» للوالدين. ثمة عائلات تتعامل مع أبنائهم بمحبة وحنان ورقة، تولي الاهتمام بحاجاتهم الحياتية وواجباتهم المدرسية، وتقوّم سلوكهم وتوجهها نحو الأمور الصحيحة، فيكتسب الأبناء القيم الحياتية التي تمنعهم من الوقوع في الخطأ. لكن هل هذا يكفي ليجعل منهم أجيالاً مميزة واعية؟

طفقت أبحث في كتب علم النفس والتربية عن أساليب التنشئة السليمة. طالعت العديد من المؤلفات في هذا الصدد، تعمّقت في النظريات وما يقوله علماء الاختصاص. لكني عاودت البحث مجدداً في مؤلفات أخرى، علها تروي ظمأ تساؤلاتي، فكان أن وقع نظري على مؤلفات لم أسمع عنها سابقاً، وإنما شدتني عناوينها.

ومن بين المؤلفات التي باشرت الإطلاع عليها، كان مؤلف «المرأة والرجل في مفهوم الأيزوتيريك» والذي يركز على أهمية بناء علاقة واعية بين المرأة والرجل، حتى تكون تربية الأبناء واعية أيضاً. وقد جاء في الكتاب عن مفهوم الحياة الزوجية أن «الحياة الزوجية يجب أن تطمح للتكامل من جميع نواحيها الجسدية والمعيشية، النفسية والحياتية، الفكرية والتطورية والاجتماعية، وبكل ما تحمل كلمة التكامل من معنى. لأن ليس الجسد وحده يقترن بالجسد، بل النفس بالنفس والعقل بالعقل والروح بالروح...وعلى أساس هذا القران المتكامل سينشأ جيل جديد، وسيكون النشء عندها أكثر انفتاحاً وأعمق وعياً، وأسرع».

ليلى أبي عاد
بيروت - لبنان